قطاع الثقافة

السيرة النبوية

لابن إسحاق

المجلد الثانى الجزء ٤

أَمْرُ الحُدَيبية (١) فى آخر سنة ستٍّ
وذكر بيعة الرضوان

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهر رمضان وشوالاً ، وخرج فى ذى القعدة معتمراً ، لا يريد حربًا (٢) .

* الرسول يستنفر الناس للخروج :

قال ابن إسحاق : واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش الذى صنعوا ، أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت (٣) ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب . وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدى ، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربة ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظما له .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن عروة بن الزبير عن مسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه قالا : خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالا ، وساق معه الهدى سبعين بدنة ، وكان الناس سبعمائة رجل ، فكانت كل بدنة عن عشرة نفر (٤) .

---

(١) يقال فيها : الحديبية بالتخفيف ، وهو الأعرف عند أهل العربية ، قال الخطابى : أهل الحديث يقولون : الحديبية بالتشديد ، والجعرانة كذلك ، وأهل العربية يقولونهما بالتخفيف ، وقال البكرى : أهل العراق يشددون الياء والراء فى الحديبية والجعرانة ، وأهل الحجاز يخففون ، وقال أبو جعفر النحاس : سألت كل من لقيته ممن أثق بعلمه عن الحديبية فلم يختلفوا على أنها بالتخفيف . وقال الخطابى : سميت الحديبية لشجرة حدباء كانت فى ذلك الموضع ، وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينه تسع مراحل . انظر سيرة ابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد ٣ / ١٩٧ .

(٢) قال ابن هشام : واستعمل ﷺ على المدينة نميلة بن عبد الله الليثى .

(٣) وذلك [illegible] كان ذاهبًا لأداء العمرة .

(٤) فيجوز الاشتراك فى الهدى .

وكان جابر بن عبد الله ، فيما بلغنى ، يقول : كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مئة .

* ما فعلته قريش :

وخرج رسول الله حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبى فقال : يا رسول الله هذه قريش ، قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل (١) ، قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذى طوى (٢) يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدًا ، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم (٣) قال . فقال رسول الله ﷺ : يا ويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ، فإن هم أصابونى كان الذى أرادوا ، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة (٤) ، ثم قال : مَن رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها ؟ .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رجلاً من أسلم قال : أنا يا رسول الله ، قال : فسلك بهم طريقًا وعرًا أجرل (٥) ، بين شعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شق ذلك على المسلمين وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادى ، قال رسول الله ﷺ للناس : قولوا نستغفر الله ونتوب إليه ، فقالوا ذلك ، فقال : والله إنها اللحظة التى عرضت على بنى إسرائيل . فلم يقولوها (٦) .

فأمر رسول الله ﷺ الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمض ، فى طريق تخرجهم على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة ، قال فسلك الجيش

---

(١) استعار العوذ المطافيل للنساء مع أولادهن . والعوذ هى الإبل حديثة النتاج والمطافيل التى معها أولادها .

(٢) ذو طوى : موضع قرب مكة .

(٣) كراع الغميم : موضع بين مكة والمدينة .

(٤) السالفة : صفحة العنق .

(٥) الأجرل : كثير الحجارة .

(٦) وهو قوله تعالى : ﴿ وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ﴾ ومعناها الاستغفار من الذنوب بقولهم اللهم حط عنا ذنوبنا .

ذلك الطريق ، فلما رأت خيل قريش قترة [١] الجيش قد خالفوا عن طريقهم ، رجعوا راكضين إلى قريش ، وخرج رسول الله ﷺ ، حتى إذا سلك فى ثنية المرار بركت ناقته ، فقالت الناس : خلأت [٢] الناقة ، قال : ما خلأت وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة [٣] . لا تدعونى قريش اليوم إلى خطة يسألوننى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ، ثم قال للناس : انزلوا ، قيل له : يا رسول الله ، ما بالوادى ماء ننزل عليه ، فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل به فى قليب من تلك القلب : فغرزه فى جوفه ، فجاش بالرواء [٤] حتى ضرب الناس عنه بعطن [٥] .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض أهل العلم عن رجال من أسلم : أن الذى نزل فى القليب بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم ابن عمر بن واثلة بن سهم بن مازن بن أسلم بن أفصى بن أبى حارثة ، وهو سائق بُدن رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لى بعض أهل العلم : أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذى نزلت بسهم رسول الله ﷺ ، فالله أعلم أى ذلك كان .

وقد أنشدت أسلم أبياتا من شعر قالها ناجية ، قد ظننا أنه هو الذى نزل بالسهم ، فزعمت أسلم أن جارية من الأنصار أقبلت بدلوها ، وناجية فى القليب يميح على الناس [٦] ، فقالت :

يَا أيها المائح دَلْوى دُونَكا　　　إنى رَأيتُ النَاس يَحْمِدُونَكا

يَثْنُونَ خَيرًا ويَمجدونكا

---

(١) القترة : الغبار

(٢) خلأت : أى بركت ومنعت من المشى .

(٣) وذلك لحكمة إلهية اقتضت ذلك .

(٤) وهذا من معجزات النبى ﷺ .

(٥) العطن : مبرك الإبل حول الماء .

(٦) يميح على الناس : أى يملأ لهم دلاءهم .

قال ابن إسحاق : فقال ناجية ، وهو فى القليب يميح على الناس :

قد علمـــــت جارية يمانيه أنى أنا المائح واسمى ناجيه
وطعنة ذات رشاش واهية (١) طعنتها عند صـــدور العادية

فقال الزهرى فى حديثه : فلما اطمأن رسول الله ﷺ أتاه بُديل بن ورقاء الخزاعى ، فى رجال من خزاعة ، فكلموه وسألوه : ما الذى جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حربا ، وإنما جاء زائراً للبيت ، ومعظما لحرمته ،وقد كان قد قال ذلك لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش ، إنكم تعجلون على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتال ، وإنما جاء زائرًا هذا البيـــت ، فاتهموهم وجبهوهم (٢) وقالوا : وإن كان جـــاء ولا يريد قتالا ، فوالله لا يدخلــها علينا عنوة (٣) ، ولا تحدث بذلك عنا العرب .

قال الزهرى : وكان خزاعة عيبة نصح (٤) رسول الله ﷺ ، مسلمها ومشركها ، لا يخفون عنه شيئًا كان بمكة .

* رسل قريش إلى رسول الله ﷺ :

قال : ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف ، أخا بنى عامر بن لؤى ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلا قال : هذا رجل غادر ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلمه ، قال له رسول الله ﷺ نحواً مما قال لبديل وأصحابه ، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ .

ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة أو ابن زبان ، وكان يومئذ سيد الأحابيش ، وهو أحد بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : إن هذا من قوم يتألهون ، فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى (٦) فى قلائده (٦) ، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله ، ثم رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظامًا لما رأى ، فقال لهم ذلك ، قال فقالوا له : اجلس ، فإنما أنت أعرابى لا علم لك .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : بأن الحليس غضب عند ذلك

---

(١) الواهية : المسترخية من اتساعها .
(٢) جبهوهم : واجهوهم بما يكرهون .
(٣) عنوة : أى بالقوة .
(٤) عيبة نصح : أى موضع سره .
(٥) عرض الوادى : جانبه .
(٦) القلائد : هى ما يعلق فى أعناق الإبل علامة على أنها هدى .

وقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم . أيُصدُّ عن بيت الله من جاء معظِّمًا له ! والذى نفس الحليس بيده ، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد (١) . قال فقالوا له : مه (٢) كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

قال الزهرى فى حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفى ، فقال : يا معشر قريش ، إنى قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وإنى ولد – وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس – وقد سمعت بالذى نابكم ، فجمعت من أطاعنى من قومى ، ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسى ، قالوا صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ ، فجلس بين يديه ثم قال : يا محمد ، أجمعت أوشاب (٣) الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها (٤) بهم إنهم قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل . قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبدًا . وايم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدًا . قال : وأبو بكر الصديق خلف رسول الله ﷺ قاعد ، فقال : امصص بظر اللات ، أنحن ننكشف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبى قحافة ، قال : أما والله لولا يد كانت لك عندى لكافأتك بها ، ولكن هذه بها ، قال : ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه . قال : والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ فى الحديد (٥) قال : فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله ﷺ ، ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك قال فيقول عروة : ويحك ! ما أفظعك وأغلظك ! قال : فتبسم رسول الله ﷺ (٦) ، فقال له عروة من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة ، قال : أى غدر وهل غسلت سوءتك إلا بالأمس .

---

(١) أى لأقلبن عليكم الأحابيش يقاتلونكم ، وكان هذا نصر من الله وسببًا فى صلح الحديبية .

(٢) مهْ : أى اكفف عن الكلام مطلقًا .

(٣) الأوشاب : الأخلاط .

(٤) بيضتك : أى عشيرتك ، تفضها : تهلكها .

(٥) فى الحديد : أى لابسًا درعه .

(٦) وهنا يتبين مدى حلم الرسول ﷺ حتى مع عدوه .

قال ابن إسحاق : قال الزهرى ، فكلمه رسول الله ﷺ بنحو مما كلم به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حربا .

فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يبصق بصاقا إلا ابتدروه . ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه ، فرجع إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش ، إنى قد جئت كسرى فى ملكه ، وقيصر فى ملكه . والنجاشى فى ملكه ، وإنى والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه ، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشى أبدا ، فروا رأيكم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم : أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعى، فبعثه إلى قريش بمكة،وحمله على بعير له يقال له الثعلب ، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ ، وأرادوا قتله ، فمنعته الأحابيش ، فخلوا سبيله ، حتى أتى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعض من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس : أن قريشاً كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين رجلا ، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ ، ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً ، فأخذوا أخذاً فأتى بهم رسول الله ﷺ ، فعفا عنهم ، وخلى سبيلهم ، وقد كانوا رموا فى عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل .

ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة ، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله ، إنى أخاف قريشا على نفسى ، وليس بمكة من عدى بن كعب أحد يمنعنى ، وقد عرفت قريش عداوتى إياها ، وغلظتى عليها ، ولكنى أدلك على رجل أعز بها منى ، عثمان بن عفان فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان ، فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنه إنما جاء زائرا لهذا البيت ، ومعظما لحرمته .

قال ابن إسحاق : فخرج عثمان إلى مكة ، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلّغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم إن شئت أن تطوف بالبيت فطف ، فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ واحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قُتل .

بَيْعَةُ الرِّضوان

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : لا نبرح حتى نناجز القوم ، فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة . فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله ﷺ على الموت ، وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفر (١) .

* تخلف الجد بن قيس عن المبايعة :

فبايع رسول الله ﷺ الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجد بن قيس ، أخو بنى سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأنى أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته . قد ضبأ (٢) إليها يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذى ذكر من أمر عثمان باطل .

* الهُدْنَة :

قال ابن إسحاق : قال الزهرى : ثم بعثت قريش سُهَيل بن عمرو ، أخا بنى عامر بن لُؤى ، إلى رسول الله ﷺ ، وقالوا له : ائت محمداً فصالحه ، ولا يكن فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبدًا (٣) ، فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً ، قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل ، فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح .

---

(١) قال ابن هشام : وكان أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان الأسدى .

(٢) ضبأ إليها : أى لصق واحتمى بها ، والله أعلم علة ذلك .

(٣) وهذا دليل تكبرهم .

* موقف عمر من الهُدْنة :

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب ، فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى قال : فعلام نعطى الدنية [1] فى ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر ؛ الزم غرزه [2] ، فإنى أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ألست برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال فعلام نُعطى الدنية فى ديننا ؟ قال : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره [3] ، ولن يضيعنى ! قال : فكان عمر يقول : ما زلت أتصدق وأصوم وأصلى وأعتق ، من الذى صنعت يومئذ ، مخافة كلامى الذى تكلمت به ، حتى رجوت أن يكون خيراً .

شُروط الصلح : قال : ثم دعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال ، اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم ، فقال رسول الله ﷺ : اكتب باسمك اللهم ، فكتبها ، ثم قال : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، قال ، فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال : فقال : رسول الله ﷺ : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد ابن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وإن بيننا عيبة مكفوفة [4] ، وإنه لا إسلال ولا إغلال [5] ، وإنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه .

---

(١) الدنية : الذل .

(٢) الزم غرزه : الزم أمره .

(٣) أى أن هذا كان أمراً من الله ، ولذلك كان هذا الصلح خيراً وفتحًا للمسلمين علموا ذلك بعد فتح مكة ، وندم من عارض الصلح على معارضته .

(٤) عيبة مكفوفة : أى صدور منطوية على ما فيها .

(٥) الإسلال : السرقة خفية الإغلال : الخيانة .

فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن فى عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر ، فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدهم ، وأنك ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وإنه إذا كان عام قابل ، خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثا ، معك سلاح الراكب السيوف فى القرب ، لا تدخلها بغيرها ٠

* قصة أبى جَنْدَل بن سُهيل :

فبينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جندل ابن سهيل بن عمرو يرسف فى الحديد [١] قد انفلت إلى رسول الله ﷺ وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح ، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمل عليه رسول الله ﷺ فى نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم ، حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه ، وأخذ بتلبيبه ، ثم قال : يا محمد قد لجت [٢] القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال صدقت ، فجعل ينتره [٣] بتلبيبه ، ويجره ليرده إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم [٤] ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا جندل ، اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا ، وأعطيناهم على ذلك ، وأعطونا عهد الله ، وإنا لا نغدر بهم [٥] ، قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه ٠ ويقول : اصبر يا أبا جندل ! فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب ، قال : ويدنى قائم السسيف منه قال : يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه [٦] ، قال : فضن [٧] الرجل بأبيه ونفذت القضية ٠

---

(١) أى مقيدًا بالحديد ، وذلك أن أباه عذبه ليرتد عن الإسلام ٠

(٢) أى قد تمت ٠

(٣) يجذبه بشدة وهو ابنه لكنه مسلم وهو مشرك ٠

(٤) أى على ما بهم من حزن عظيم ٠

(٥) وهذا الموقف العملى يبين كيف أن النبى إذا عاهد بر ، وأمر بذلك المسلمين أن يوفوا العهد ،ولا ينقضوه فرده الرسول ﷺ للمشركين وهو مسلم وذلك طبقًا للعقد الذى بينهم ، ولعل الله بذلك يجعل له مخرجًا وفرجًا ٠

(٦) أى سهيل بن عمرو ٠

(٧) أى رفض أبو جندل أن يفعل ذلك ٠

مَنْ شَهدوا على الصلح

فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجلاً من المشركين . أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبى وقاص ، ومحمود بن مسلمة ومكرز بن حفص ، وهو يومئذ مشرك ، وعلى بن أبى طالب وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة .

* الإحْلاَل :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ مضطربًا فى الحل وكان يصلى فى الحرم فلما فرغ من الصلح قام إلى هديه فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه ، وكان الذى حلقه فيما بلغنى فى ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعى ، فلما رأى الناس أن رسول الله ﷺ قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : حلق رجال يوم الحديبية ، وقصَّر آخرون . فقال رسول الله ﷺ : يرحم الله المحلِّقين ، قالوا والمقصِّرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله المحلقين . قالوا والمقصرين يا رسول الله قال يرحم الله المحلقين . قالوا والمقصرين يا رسول الله قال : والمقصرين ، فقالوا : يا رسول الله : فلم ظاهرت [(١)] الترحيم للمحلقين دون المقصرين ؟ قال : لم يشكُّوا .

وقال عبد بن أبى نجيح : حدثنى مجاهد ، عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ أهدى عام الحديبية فى هداياه جملا لأبى جهل ، فى رأسه برة [(٢)] من فضة ، يغيظ بذلك المشركين .

نزول سورة الفتح : قال الزهرى فى حديثه : ثم انصرف رسول الله ﷺ من وجهه ذلك قافلا ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة ، نزلت سورة الفتح : ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبينًا * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما** ﴾ [(٣)] .

---

(١) ظاهرتْ : قوَّيت وأكدت .

(٢) البرة : حلقة تجعل فى أنف البعير ليُذل بها وكانت فى العادة من خشب أو شعر .

(٣) سورة الفتح : الآية ١ ، ٢ .

ثم كانت فيه وفى أصحابه ، حتى انتهى من ذكر البيعة ، فقال جل ثناؤه : ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً** ﴾ (١) .

ثم ذكر من تخلف عنه من الأعراب ، ثم قال : حين استفزهم للخروج معه فتباطأوا عليه : ﴿ **سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا** ﴾ (٢) ثم القصة عن خبرهم ، حتى انتهى إلى قوله : ﴿ **سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل** ﴾ (٣) .. ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولى البأس الشديد .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس ، قال : فارس . قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن الزهرى أنه قال : أولو البأس الشديد : حنيفة مع الكذاب .

ثم قال تعالى : ﴿ **لقد رضى الله عن المؤمنين إذا يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبًا * ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما * وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجّل لكم هذه وكف أيدى الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما * وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا** ﴾ (٤) .

ثم ذكر محبسه وكفه إياه عن القتال ، بعد الظفر منه بهم ، يعنى النفر الذين أصاب منهم وكفهم عنه ، ثم قال تعالى : ﴿ **وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا** ﴾ ، ثم قال تعالى : ﴿ **هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفًا أن يبلغ محلِه** ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الفتح : الآية ١٠ .

(٢) سورة الفتح : الآية ١١ .

(٣) سورة الفتح : الآية ١٥ .

(٤) سورة الفتح : الآيات ١٨ - ٢١ .

(٥) سورة الفتح : الآيات ٢٤ - ٢٥ .

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : ﴿ **ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم** ﴾ (١) والمعرة : الغرم أى : أن تصيبوا منهم معرة بغير علم فتخرجوا ديته ، فأما إثم فلم يخشه عليهم .

قال ابن إسحاق : ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ **إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية** ﴾ يعنى سهيل بن عمرو حين حمى أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، وأن محمداً رسول الله ، ثم قال تعالى : ﴿ **فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها** ﴾ (٢) . أى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .

ثم قال تعالى : ﴿ **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتَدْخُلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلِّقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا** ﴾ . أى لرؤيا رسول الله ﷺ التى رأى ، أنه سيدخل مكة آمناً لا يخاف ، ويقول : ﴿ **مُحلِّقين رءوسكم ومقصرين** ﴾ معه : ﴿ **لا تخافون فعلم** ﴾ من ذلك ﴿ **ما لم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحًا قريبًا** ﴾ (٣) صلح الحديبية .

يقول الزهرى : فما فتح فى الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ، ووضعت الحرب ، وأمن الناس بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئًا إلا دخل فيه ولقد دخل تلك السنتين مثل من كان والإسلام قبل ذلك . أو أكثر (٤) .

* * *

---

(١) سورة الفتح : الآية ٢٥ .

(٢) سورة الفتح : الآية ٢٦ .

(٣) سورة الفتح : الاية ٢٧ .

(٤) قال ابن هشام : والدليل على قول الزهرى أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية فى ألف وأربعمائة ، فى قول جابر بن عبد الله ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف .

أمر المستضعفين بمكة بعد الصلح

قصة أبى بصير : قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أتاه أبو بصير عُتبة (١) بن أسيد بن جارية ، وكان ممن حُبس بمكة ، فلما قدم رسول الله ﷺ كتب فيه أزهر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ، والأخنس بن شريق ابن عمرو بن وهب الثقفى إلى رسول الله ﷺ ، وبعثا رجلا من بنى عامر بن لؤى ومعه مولى لهم ، فقدما على رسول الله ﷺ بكتاب الأزهر والأخنس ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، فانطلق إلى قومك ، قال : يا رسول الله ، أتردنى إلى المشركين يفتوننى فى دينى ؟ قال : يا أبا بصير ، انطلق فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا .

فانطلق معهما ، حتى إذا كان بذى الحُليفة (٢) ، جلس إلى جدار ، وجلس معه صاحباه ، فقال أبو بصير : أصارم سيفك هذا يا أخا بنى عامر ؟ فقال : نعم ، قال : أنظر إليه ؟ قال انظر ، إن شئت . قال : فاستله أبو بصير ، ثم علاه به حتى قتله ، وخرج المولى سريعا حتى أتى رسول الله ﷺ وهو جالس فى المسجد ، فلما رآه رسول الله ﷺ طالعا ، قال : إن هذا الرجل قد رأى فزعاً (٣) ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ، قال ويحك ! مالك ؟ قال : قتل صاحبكم صاحبى . فوالله : ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً بالسيف حتى وقف على رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، وفت ذمتك ، وأدى الله عنك ، أسلمتنى بيد القوم وقدامتنعت بدينى أن أفتن فيه ، أو يعبث بى . قال : فقال رسول الله ﷺ : ويل امهٌ محش حرب (٤) لو كان معه رجال ! .

---

(١) وقيل : عبيد .

(٢) ميقات أهل المدينة ، بينها وبين المدينة ستة أميال .

(٣) لما رأى عليه من الوجوم .

(٤) وفى الصحيح : ويل أمه مسعر حرب ، ويقال : حششت النار ، وأورثتها ، وأذكيتها ، وأثقلتها وسعرتها بمعنى واحد .

ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص ، من ناحيــة ذى المروة ، على ساحل البحر ، بطريق قريش التى كانوا يأخذون عليها إلى الشام ، وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله ﷺ لأبى بصير : ويل امه محش حرب لو كان معه رجال ، فخرجوا إلى أبى بصير بالعيص ، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلاً وكانوا قد ضيقوا على قريش . لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر بهم عير إلا اقتطعوها حتى كتبت قريش إلى رسول الله ﷺ تسأل بأرحامهم إلا آواهم فلا حاجة لهم بهم ، فآواهم رسول الله ﷺ ، فقدموا عليه بالمدينة .

قال ابن إسحاق : فلما بلغ سُهيل بن عمرو قتل أبى بصير صاحبهم العامرى ، آسند ظهره إلى الكعبة ، ثم قال : والله لا أؤخر ظهرى عن الكعبة حتى يودى (١) هذا الرجل فقال أبو سفيان بن حرب : والله إن هذا لهو السفه والله لا يودى .

* * *

---

(١) أى تُدفع ديته .

أَمْرُ المهاجرات بعد الهُدْنة

* هجرة أم كُلثوم بنت عُقبة :

قال ابن إسحاق : وهاجرت إلى رسول الله ﷺ أم كلثوم بنت عُقْبة بن أبى مُعيط فى تلك المدة ، فخرج أخواها عمارة والوليد ابنا عقبة ، حتى قدما على رسول الله ﷺ يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذى بينه وبين قريش فى الحديبية فلم يفعل ، أبى الله ذلك .

قال ابن إسحاق : فحدثنى الزهرى ، عن عُروة بن الزبير ، قال : دخلت عليه وهو يكتب كتابا إلى ابن أبى هنيدة ، صاحب الوليد بن عبد الملك ، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر** ﴾ (١) . ﴿ **واسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم** ﴾ (٢) .

قال : فكتب إليه عُروة بن الزبير : أن رسول الله ﷺ كان صالح قريشًا يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه ، فلما هاجر النساء إلى رسول الله ﷺ وإلى الإسلام ، أبى الله أن يرددن إلى المشركين إذا هن امتحن بمحنة الإسلام فعرفوا أنهن إنما جئن رغبة فى الإسلام ، وأمر برد صدقاتهن (٣) إليهم إن احتبس عنهم إن هم ردوا على المسلمين صداق من حبسوا عنهم من نسائهم ، ﴿ **ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم** ﴾ . فأمسك رسول الله ﷺ النساء ورد الرجال ، وسأل الذى أمره به أن يسأل من صدقات نساء من حبسوا منهن ، وأن يردوا عليهم ، مثل الذى يردون عليهم ، إن هم فعلوا ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم لرد رسول الله ﷺ النساء كما رد الرجال ، ولولا الهدنة والعهد الذى بينه وبين قريش

---

(١) الممتحنة : الآية ١٠ .

(٢) سورة الممتحنة : الآية ١٠ .

(٣) أى مهورهن .

يوم الحديبية لأمسك النساء ، ولم يردد لهن صداقا ، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد .

قال ابن إسحاق : وسألت الزهرى عن هذه الآية ، وقول الله عز وجل فيها : ﴿ **وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون** ﴾ (١) فقال يقول إن فات أحدًا منكم أهله إلى الكفار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذى يأخذون منكم ، فعوضوهم من فيء إن أصبتموه ، فلما نزلت هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات** ﴾ إلى قول الله عز وجل : ﴿ **ولا تمسكوا بعصم الكوافر** ﴾ (٢) ، كان ممن طلّق عمر بن الخطاب ، طلق امرأته قريبة بنت أبى أميةَ بن المغيرة ، فتزوجها بعده معاوية بن أبى سفيان ، وهما على شركهما بمكة ، وأم كلثوم بنت جرول أم عبيد الله ابن عمر الخزاعية ، فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم . رجل من قومه وهما على شركهما .

* * *

---

(١) سورة الممتحنة : الآية ١١ .

(٢) سورة الممتحنة : الآية ١٠ .

ذكر المَسير إلى خَيْبَر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ، وولى تلك الحجة المشركون ، ثم خرج فى بقية المحرم إلى خيبر (١) .

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن أبى الهيثم ابن نصر بن دُهر الأسلمى أن أباه حدثه : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول فى مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع ، وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع ، وكان اسم الأكوع سنان : انزل يا بن الأكوع ، فخذ لنا من هناتك (٢) ، قال : فنزل يرتجز برسول الله ﷺ ، فقال :

وَالله لَوْلاَ اللهُ مَا اهْتَدينا ... وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلا صَلَّينَـا
إنَّا إذَا قَوْمٌ بغَوا عَلَينـا ... وَإن أَرادُوا فتْنَةً أَبينَـا
فَأَنْزِلَنْ سكينةً عَلَيْنَـا ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إنْ لاَقينـا

فقال رسول الله ﷺ : يرحمك الله ، فقال عمر بن الخطاب : وجبت والله يا رسول الله ، لو أمتعتنا به ! فقتل يوم خيبر شهيداً ، وكان قتله فيما بلغنى ، أن سيفه رجع عليه وهو يقاتل ، فكلمه كلما شديداً ، فمات منه ، فكان المسلمون قد

---

(١) قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثى ، ودفع الراية إلى على بن أبى طالب رضي الله عنه ، وكانت بيضاء .

(٢) هناتك : جمع الهنة : كناية عن كل شىء لا تعرف اسمه ، أو تعرفه ، فتكنى عنه ، وأصل الهنة : هنة وهنوة . قال الشاعر :

* على هنوات شأنها متتابع *

وفى البخارى : أن رجلا قال لابن الأكوع : ألا تنزل فتسمعنا من هنيهاتك ، صغره بالهاء ، ولو صغره على لغة من قال هنوات لقال هنياتك . وإنما أراد ﷺ أن يحدو بهم ، والإبل تستحث بالحداء ، ولا يكون الحداء إلا بشعر أو رجز .

شكوا فيه ، وقالوا : إنما قتله سلاحه ، حتى سأل ابن أخيه سلمة بن عمرو الأكوع رسول الله ﷺ عن ذلك وأخبره بقول الناس ، فقال رسول الله ﷺ : إنه شهيد وصلى عليه فصلى عليه المسلمون .

* دعاء الرسول عند دخول خيبر :

قال ابن إسحاق : حدثنى من لا أتهم عن عطاء بن أبى مروان الأسلمى عن أبيه ، عن أبى معتب بن عمرو . أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه ، وأنا فيهم : قفوا ، ثم قال : اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها أقدموا بسم الله ، قال : وكان يقولها عليه الصلاة والسلام لكل قرية دخلها (١) .

* فرار أهل خيبر :

قال ابن إسحاق : وحدّثنى من لا أتهم عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا غزا قومًا لم يغر عليهم حتى يصبح (٢) ، فإن سمع أذانًا أمسك ، وإن لم يسمع أذانًا أغار ، فنزلنا خيبر ليلاً ، فبات رسول الله ﷺ ، حتى إذا أصبح لم يسمع أذانًا ، فركب وركبنا معه ، فركبت خلف أبى طلحة ، وإن قدمى لتمس قدم رسول الله ﷺ ، واستقبلنا عمال خيبر غادين (٣) ، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم (٤) . فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش ، قالوا : محمد والخميس (٥) معه فأدبروا هرابًا فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

قال ابن إسحاق : حدثنا هارون عن حميد ، عن أنس بمثله .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك

---

(١) وصار هذا الدعاء من هدى الرسول ﷺ عند دخول أى بلد يستحب للمسلم أن يقوله فى أول البلد .

(٢) أى أنه لم يأخذهم على غرة ليلاً .

(٣) غادين : خارجين لأعمالهم صباحاً مبكرين .

(٤) المساحى : جمع مسحاة ، وهى الفأس من الحديد ، المكاتل جمع مكتل وهو زنبيل يعمل من الخوص .

(٥) الخميس : الجيش .

على عصرَ (١) ، فبنى فيها مسجدا ، ثم على الصهباء (٢) ، ثم أقبل رسول الله ﷺ بجيشه ، حتى نزل بواد يقال له الرجيع ، فنزل بينهم وبين غطفان ، ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ .

*** غطفان تحاول مساعدة خيبر :**

فبلغنى أن غطفان لما سمعت بمنزل رسول الله ﷺ من خيبر جمعوا له ، ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلة (٣) سمعوا خلفهم فى أموالهم وأهليهم حِسا ، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ، فأقاموا فى أهليهم وأموالهم وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر (٤) .

وتدنىّ (٥) رسول الله ﷺ الأموال يأخذها مالا مالا ، ويفتحها حصنا حصنا ، فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم ، وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه منه رحا فقتلته ، ثم القموص ، حصن بنى أبى الحقيق ، وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا ، منهن صفية بنت حُيى بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وبنتى عم لها ، فاصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه (٦) .

وكان دحية بن خليفة الكلبى (٧) قد سأل رسول الله ﷺ صفية فلما أصفاها لنفسه أعطاه ابنتى عمها ، وفشت السبايا من خيبر فى المسلمين .

أشياء نهى عنها الرسول يوم خيبر : وأكل المسلمون لحوم الحمر الأهلية من حمرها فقام رسول الله ﷺ ، فنهى الناس عن أمور سماها لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن عمرو بن ضمرة الفزارى عن عبد الله ابن أبى سليط عن أبيه ، قال : أتانا نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الحمر الإنسية ، والقدور تفور بها ، فكفأناها على وجوهها .

---

(١) عصر : اسم جبل بين المدينة ووادى الفرع .

(٢) موضع قريب من خيبر .

(٣) منقلة : أى مرحلة .

(٤) وهذه حكمة إلهية حتى يتمكن الرسول ﷺ من دخول خيبر وفتحها .

(٥) تدنى : أى أخذ الأدنى فالأدنى .

(٦) وتزوجها ﷺ وكانت من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن .

(٧) وهو الذى كان سيدنا جبريل عليه السلام يأتى فى صورته .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مكحول : أن رسول الله ﷺ نهاهم يومئذ عن إتيان [١] الحبالى من السبايا ، وعن أكل الحمار الأهلى ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع [٢] ، وعن بيع المغانم حتى تقسم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سلام بن كركرة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر ابن عبد الله الأنصارى ، ولم يشهد جابر خيبر : أن رسول الله ﷺ حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر ، أذن لهم فى أكل لحوم الخيل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى مرزوق مولى تجيب عن حنش الصنعانى ، قال : غزونا مع رويفع بن ثابت الأنصارى المغرب فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة ، فقام فينا خطيبًا ، فقال : يا أيها الناس ، إنى لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقوله فينا يوم خيبر قام فينا رسول الله فقال : لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماؤه زرع غيره ، يعنى إتيان الحبالى من السبايا ، حتى يستبرئها [٣] ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنماً حتى يقسم ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فىء المسلمين حتى إذا أعجفها [٤] ردها فيه ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوبًا من فىء المسلمين حتى إذا أخلقه [٥] رده فيه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط ، أنه حدث عن عبادة ابن الصامت قال : نهانا رسول الله ﷺ يوم خيبر عن أن نبيع أو نبتاع تبر[٦] الذهب بالذهب العين ، وتبر الفضة بالورق العين ، وقال : ابتاعوا تبر الذهب بالورق العين ، وتبر الفضة بالذهب العين .

---

(١) إتيان : أى جماع .

(٢) مثل الأسود ، والنمور ، والوحوش المفترسة .

(٣) استبراء الحامل : أن تضع حملها فذلك استبراء رحمها .

(٤) أى أتعبها وأضعفها .

(٥) أى أبلاه .

(٦) التبر : فتات الذهب والفضة قبل أن يصاغا .

قال ابن إسحاق : ثم جعل رسول الله ﷺ يتدنى الحصون والأموال .

* حال بنى سهم :

فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدثه بعض أسلم : أن بنى سهم من أسلم أتوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : والله يا رسول الله ﷺ لقد جهدنا وما بأيدينا من شىء فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئًا يعطيهم إياه ، فقال : اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة ، وأن ليس بيدى شىء أعطيهم أياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء ، وأكثرها طعاماً وودكاً ، فغدا الناس ، ففتح الله عز وجل عليهم حصن الصعب بن معاذ ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً وودكاً منه .

* مقتل مرحب اليهودى :

قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح وحاز من الأموال ما حاز ، انتهوا إلى حصنيهم : الوطيح ، والسلالم ، وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحًا ، فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل ، أخو بنى حارثة عن جابر بن عبد الله قال : خرج مرحب اليهودى من حصنهم قد جمع سلاحه يرتجز وهو يقول :

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرَّب
أطعن أحيانًا وحينا أضــرب إذا الليوث أقبــلت تحرِّب
إن حماى للحمى لا يقرب

وهو يقول : من يبارز ؟ فأجابه كعب بن مالك فقال :

قد علمت خيبر أنى كعــب مفرج الغمَّى جـرئ صلب
إذ شبت الحرب تلتها الحرب معى حسام كالعقيـق عضب
تطؤكم حتى يذل الصــعب نعطى الجزاء أو يفىء النهب
بكف ماض ليس فيه عتـب

قال ابن إسحاق : فحدثـــى عبد الله بن سهل ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى .

قال : فقال رسول الله ﷺ : من لهذا ؟ قال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول الله ، أنا والله ، الموتور الثائر ، قُتل أخى بالأمس [١] ، فقال : فقم إليه ، اللهم أعنه عليه قال فلما دنا أحدهما من صاحبه ، دخلت بينهما شجرة عمرية [٢] من شجر العشر ، فجعل أحدهما يلوذ بها [٣] من صاحبه ، كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها [٤] ، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرجل القائم ، ما فيها فنن [٥] ، ثم حمل [٦] مرحب على محمد بن مسلمة ، فضربه ، فاتقاه بالدرقة ، فوقع سيفه ، فعضت به فأمسكته ، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله .

* مَقْتَل ياسر أخى مرحب :

قال ابن إسحاق : ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر ، وهو يقول ، من يبارز ؟ فزعم هشام بن عروة أن الزبير بن العوام خرج إلى ياسر فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب : يقتل ابنى يا رسول ؟ ! قال : بل ابنك يقتله إن شاء الله . فخرج الزبير فالتقيا ، فقتله الزبير [٧] .

قال ابن إسحاق : فحدثنى هشام بن عروة : أن الزبير كان إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ لصارمًا عضبًا ، قال : والله ما كان صارمًا ، ولكنى أكرهته .

* علىٌّ يفتح خيبر :

قال ابن إسحاق : وحدثنى بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمى ، عن أبيه سفيان عن سلمة بن عمرو بن الأكوع ، قال : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر

---

(١) المعنى : قُتل أخى ولذلك يريد الانتقام له والأخذ بثأره من هذا اليهودى .
(٢) عمرية : أى معمرة منذ كذا أعوام .
(٣) أى يحتمى بها .
(٤) يقطع كلا منهما ما يحول بينه وبين صاحبه من فروع الشجرة .
(٥) الفنن : الغصن .
(٦) أى هجم .
(٧) وتحققت بشرى رسول الله ﷺ .

الصديّق رضى الله عنه برايته [١] ، إلى بعض حصون خيبر . فقاتل ، فرجع ولم يك فتح ، وقد جهد ، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب خيبر . فقاتل ، فرجع ولم يك فتح ، وقد جهد ، فقال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية غدا رجلاً يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ليس بفرّار . قال : يقول سلمة ، فدعا رسول الله ﷺ عليا رضوان الله عليه ، وهو أرمد ، فتفل فى عينه ، ثم قال خذ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتح الله عليك .

قال : يقول سلمة : فخرج والله بها يأنح [٢] يهرول هرولة ، وإنا لخلفه نتبع أثره حتى ركز رايته فى رضم [٣] من حجارة تحت الحصن ، فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا على بن أبى طالب . قال : يقول اليهودى علوتم ، وما أنزل على موسى أو كما قال . قال : فما رجع حتى فتح الله على يديه وقد ضربه رجل من يهود فطاح ترسه من يده ، فتناول على ﷺ بابًا كان عند الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتنى فى نفر سبعة معى أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه .

* حديث أبى اليسر :

قال ابن إسحاق : وحدثنى بريدة بن سفيان الأسلمى عن بعض رجال بنى سلمة عن أبى اليسر كعب بن عمرو قال : والله إنا لمع رسول الله ﷺ بخيبر ذات عشية إذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم ، فقال رسول الله ﷺ :

من رجل يطعمنا من هذا الغنم ؟ قال أبو اليسر : فقلت أنا يا رسول الله ، قال: فافعل، قال : فخرجت أشـــتد مثل الظليم [٤] ، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ

(١) قال ابن هشام : وكانت بيضاء .

(٢) يأنح : يعلو صوته .

(٣) رضم من حجارة : أى حجارة مجتمعة أو كوم من حجارة .

(٤) الظليم : ولد النعام .

موليا وقال : اللهم أمتعنا به ، وقال : فأدركت الغنم وقد دخلت أولاها الحصن ، فأخذت شاتين من أخراها ، فاحتضنتهما تحت يدى ، ثم أقبلت بهما أشتد ، كأنه ليس معى شىء ، حتى ألقيتهما عند رسول الله ﷺ ، فذبحوهما فأكلوهما ، فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله ﷺ هلاكا [١] ، فكان إذا حدث هذا الحديث بكى ، ثم قال : أمتعوا بى ، لعمرى ، حتى كنت من آخرهم هلكا .

قصة صفية رضي الله عنها : قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله ﷺ القموص ، حصن بنى أبى الحقيق ، أتى رسول الله ﷺ بصفية بنت حُيى بن أخطب ، وبأخرى معها ، فمر بهما على قتلى من قتلى يهود ، فلما رأتهم التى مع صفية صاحت ، وصكت وجهها [٢] وحثت التراب على رأسها ، فلما رآها رسول الله ﷺ قال : أعزبوا [٣] عنى هذه الشيطانة ، وأمر بصفية فحيزت خلفه ، وألقى عليها رداءه ، فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه : فقال رسول الله ، لبلال ، فيما بلغنى ، حين رأى بتلك اليهودية ما رأى : أنزعت منك الرحمة يا بلال ، حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ؟ وكانت صفية قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، أن قمرا وقع فى حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها ، فقال : ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً ، فلطم وجهها لطمة خضر عينها منها . فأتى بها رسول الله ﷺ وبها أثر منه ، فسألها ما هو ؟ فأخبرته هذا الخبر .

* جَزاءُ كِنَانَة بن الربيع :

وأتى رسول الله ﷺ بكنانة بن الربيع ، وكان عنده كنز بنى النضير ، فسأله عنه ، فجحد أن يكون يعرف مكانه ، فأتى رسول الله ﷺ رجل من يهود . فقال لرسول الله ﷺ : إنى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة ، فقال رسول الله ﷺ لكنانة : أرأيت إن وجدناه عندك ، أأقتلك ؟ قال: نعم، فأمر رسول الله ﷺ

---

(١) أى موتًا .

(٢) صكت وجهها : أى ضربت ولطمت وجهها .

(٣) أعزبوا : أبعدوا .

بالخربة فحفرت ، فأخرج منها بعض كنزهم ، ثم سأله عما بقى ، فأبى أن يؤديه ، فأمر به رسول الله ﷺ الزبير بن العوام ، فقال : عذبه حتى تستأصل ما عنده ، فكان الزبير يقدح بزند فى صدره ، حى أشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة (١) .

صُلحُ خَيبر : وحاصر رسول الله ﷺ ، أهل خيبر فى حصنيهم الوطيح والسلالم ، حتى إذا أيقنوا بالهلكة ، سألوه أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم ، ففعل . وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها : الشق ونطاة والكتيبة وجميع حصونهم إلا ما كان من ذينك الحصن ، فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا ، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم ، وأن يحقن دماءهم ، ويخلوا له الأموال ففعل . وكان ممن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم فى ذلك محيصة بن مسعود أخو بنى حارثة فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم فى الأموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم . وأعمر لها ، فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف ، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر فيئاً بين المسلمين ، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب (٢) .

* قصة الشاة المسمومة :

فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث ، امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية (٣) ، وقد سألت أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها : الذراع ، فأكثرت فيها من السم ، ثم سمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدى رسول الله ﷺ ، تناول الذراع ، فلاك منها مضغة فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ ، فأما بشر فأساغها ، وأما رسول الله ﷺ فلفظها ، ثم قال : إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم (٤) ، ثم دعا بها فاعترفت فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : أبلغت

---

(١) أى اقتصاصًا لقتل أخيه .

(٢) أى بدون قتال ولا إراقه دماء .

(٣) أى شاة مشوية .

(٤) وهذا من معجزات الله لنبيه ﷺ .

من قومى ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان ملكاً استرحت منه ، وإن كان نبيا فسيُخبر [(١)] ، قال : فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ، ومات بشر من أكلته التى أكل ٠

وقال ابن إسحاق : وحدثنى مروان بن عثمان بن أبى سعيد بن المعلى ، قال : كان رسول الله ﷺ قد قال فى مرضه الذى توفى فيه ٠ ودخلت أم بشر بنت البراء ابن معرور تعوده : يا أم بشر ، إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهرى [(٢)] من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخيبر ٠ قال : فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً ، مع ما أكرمه الله به من النبوة ٠

جزاء الغال [(٣)] من الغنيمة : قال ابن إسحاق : فحدثنى ثور بن زيد ، عن سالم ، مولى عبد الله بن مطيع ، عن أبى هريرة ، قال : فلما انصرفنا مع رسول الله ﷺ عن خيبر إلى وادى القرى نزلن بها أصيلا [(٤)] مع مغرب الشمس ٠ ومع رسول الله ﷺ غلام له ، أهداه له رفاعة بن زيد الجذامى ، ثم الضبيبىّ ٠

قال : فوالله إنه ليضع رحل رسول الله ﷺ إذ أتاه سهم غرب [(٥)] فأصابه فقتله ، فقلنا : هنيئا له الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : كلا ، والذى نفس محمد بيده ، إن شملته الآن لتحترق عليه فى النار ، كان غلهاً من فىء المسلمين يوم خيبر ٠ قال : فسمعها رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، فأتاه فقال : يا رسول الله ، أصبت شراكين لنعلين لى ، قال : فقال : يقد لك مثلهما فى النار [(٦)] ٠

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مغفل المزنى ، قال : أصبت من فىء خيبر جراب شحم ، فاحتملته على عاتقى إلى رحلى وأصحابى ٠ قال : فلقينى صاحب المغانم الذى جعل عليها ، فأخذ بناحيته وقال : هلم هذا نقسمه

---

(١) أى سيخبره الله بذلك ٠

(٢) الأبهر : عرق من عرقين يخرجان من القلب ومنهما تتشعب الشرايين كلها ٠

(٣) الغال : أى الآخذ من الغنيمة قبل القسمة ٠

(٤) أصيلاً : أى وقت الأصيل وهو قبيل الغروب ٠

(٥) سهم غرب : أى مجهول الرامى ، لا يعرف من أين أتى ٠

(٦) وهو أيضا دليل على عظم ذنب السارق من المال العام ، لأن الغنيمة مال عام كل له سهمه ٠

بين المسلمين ، قال : قلت : لا والله لا أعطيكه ، قال : فجعل يجابذنى الجراب : قال : فرآنا رسول الله ﷺ ونحن نصنع ذلك . قال : فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكا ، ثم قال لصاحب المغانم : لا أبا لك ، خل بينه قال : فأرسله ، فانطلقت به إلى رحلى وأصحابى ، فأكلناه .

* زواج الرسول بالسيدة صفية وحراسة أبى أيوب له :

قال ابن إسحاق : ولما أعرس [١] رسول الله ﷺ بصفية ، بخيبر أو ببعض الطريق ، وكانت التى جملتها [٢] لرسول الله ﷺ ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان ، وأم أنس بن مالك . فبات بها رسول الله ﷺ فى قبة له [٣] ، وبات أبو أيوب خالد بن زيد ، أخو بنى النجار متوشحا سيفه ، يحرس رسول الله ﷺ ، ويُطيف بالقبة ، حتى أصبح رسول الله ﷺ ، فلما رأى مكانه قال : مالك يا أبا أيوب ؟ قال : يا رسول الله ، خفت عليك من هذه المرأة . وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر ، فخفتها عليك . فزعموا أن رسول الله ﷺ ، قال : اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى .

* بلال يَغْلِبه النوم وهو يرقب الفجر :

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، قال : لما انصرف رسول الله من خيبر ، فكان ببعض الطريق قال من آخر الليل : من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام [٤] ؟ قال بلال :أنا يا رسول الله أحفظه عليك . فنزل رسول الله ﷺ ، ونزل الناس فناموا ، وقام بلال يصلى ، فصلى ما شاء الله عز وجل أن يصلى . ثم استند إلى بعيره ، واستقبل الفجر يرمقه ، فغلبته عينه ، فنام فلم يوقظه إلا مس الشمس ، وكان رسول الله ﷺ أول أصحابه هب [٥] ، فقال : ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ قال : يا رســـول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ، قال : صدقت ثم اقتاد رسول الله ﷺ بعيره غير كثير ، ثم أناخ فتوضأ ، وتوضأ الناس ثم

---

(١) أعرس : أى دخل على عروسه .
(٢) أى التى زينتها .
(٣) أى خيمة له .
(٤) يحفظ علينا الفجر : أى يظل مستيقظًا حتى يوقظنا لصلاة الفجر .
(٥) أى قام .

أمر بلالاً فأقام الصلاة فصلى رسول الله بالناس ، فلما سلم أقبل على الناس فقال : إذ نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها ، فإن الله تبارك وتعالى يقول ﴿ **وأقم الصلاة لذكرى** ﴾ [(١)] .

* شِعْر ابن لقيم فى فتح خيبر :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ ، فيما بلغنى قد أعطى ابن لقيم العبسى ، حين افتتح خيبر ، ما بها من دجاجة أو داجن [(٢)] وكان فتح خيبر فى صفر فقال ابن لقيم العبسى فى خَيبر :

رَميــت نَطَاة مِنَ الرسول بِفَيْلَقٍ ... شَهْبَاء ذَات مَنَاكِب وَفِقَارِ [(٣)]
وَاسْتَيْقَنت بِالذُّل لَمــا شُيِّعت ... وَرِجالَ أَسْلَم وَسْطَهَا وغِفَارِ
صَبَّحْتَ بَنِى عَمْرو بن زُرْعَة غُدْوة ... والشق أَظلَــم أهْله بَنهارِ [(٤)]
جَرت بِأَبْطَحها الذُّيول فَلم تَدَعْ ... إلا الدَّجَاج تَصِيحُ فِى الأَسْحَارِ
وَلِكل حِصْنٍ شَاغِل مِنْ خَيْلهــم ... مِنْ عَبْد أشهــل أو بَنى النجارِ
وَمُهَاجرين وَقَد أعلمــوا سِيَماهم ... فَوق المغَافِر لــم ينُوا لفرارِ
وَلَقَد عَلِمـــت لَيغْلِبن مُحمدٌ ... وَليثوين بَها إلــى أصفارِ [(٥)]
فَرَّتْ يَهودٌ يَوم ذَلك فى الوَغَى ... تَحْتَ العَجَاجِ غَمَائِم الأَبصَارِ [(٦)]

* حديث المرأة الغفارية :

قال ابن إسحاق : وشهد خيبر مع رسول الله ﷺ نساء من المسلمين فرضخ لهن [(٧)] رسول الله ﷺ من الفىء ، ولم يضرب لهن بسهم .

---

(١) سورة طه : الآية ١٤ .
(٢) الداجن : هو كل ما يربيه الناس مما يألفونه فى بيوتهم كالشاة وغير ذلك .
(٣) نطاة : حصن بخيبر ، الشهباء : كثيرة الاستعداد .
(٤) الشق : حصن بخيبر أيضًا .
(٥) يثوين : يقمن ، الثواء : الإقامة .
(٦) العجاج : غبار الحرب .
(٧) أرضخ لهن : أى أعطاهن أقل من سهم المقاتل .

قال ابن إسحاق : حدثنى سليمان بن سحيم ، عن أُمية بنت أبى الصلت ، عن امرأة من بنى غفار ، قد سماها لى ، قالت : أتيت رسول الله ﷺ فى نسوة من بنى غفار ، فقلنا يا رسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ، وهو يسير إلى خيبر فنداوى الجرحى ، ونعين المسلمين بما استطعنا فقال على بركة الله . قالت : فخرجنا معه ، وكنت جارية حدثة [1] ، فأردفنى رسول الله على حقيبة رحله ، قالت : فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح وأناخ ، ونزلت عن حقيبة رحله وإذا بها دم منى ، وكانت أول حيضة حضتها ، قالت : فتقبضت إلى الناقة واستحييت ، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بى ورأى الدم ، قال : مالك ؟ لعلك نفست ، قالت : قلت : نعم ، قال : فأصلحى من نفسك ، ثم خذى إناء من ماء ، فاطرحى فيه ملحاً ، ثم اغسلى به ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودى لمركبك .

قالت [2] : فلما فتح رسول الله ﷺ خيبر ، رضخ لنا من الفىء ، وأخذ هذه القلادة التى ترين فى عنقى فأعطانيها ، وعلقها بيده فى عنقى ، فوالله لا تفارقنى أبدًا .

قالت : فكانت فى عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها قالت : وكانت لا تطهر من حيضة إلا جعلت فى طهورها ملحًا ، وأوصت به أن يجعل فى غسلها حين ماتت .

شُهَدَاء خيبر : قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد بخيبر من المسلمين ، من قريش . ثم من بنى أمية بن عبد شمس ، ثم من حلفائهم : ربيعة بن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن بكير بن عامر بن غُنم بن دودان بن أسد . وثقيف بن عمرو ، ورفاعة بن مسروح .

*** من بنى أسد :**

ومن بني أسد بن عبد العزى : عبد الله الهبيب ، بن أهيب بن سحيم بن غيرة ، من بنى سعد بن ليث ، حليف لبنى أسد ، وابن أختهم .

---

(١) أى صغيرة السن .

(٢) أى الجارية .

*** من بنى سلمة :**

ومن الأنصار ثم من بنى سلمة : بشر بن البراء بن معرور ، مات من الشاة التى سُم فيها رسول الله ﷺ . وفضيل بن النعمان . رجلان .

*** من بنى زريق والأوس :**

ومن بنى زريق : مسعود بن سعد بن قيس بن خلدة بن عامر بن زريق .

ومن الأوس ثم من بنى عبد الأشهل : محمود بن مسلمة بن خالد بن عدى ابن مجدعة بن حارثة بن الحارث ، حليف لهم من بنى حارثة .

*** من بنى عمرو بن عوف :**

ومن بنى عمرو بن عوف : أبو ضـــياح بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف ، والحارث بن حاطب ، وعروة بن مرة بن سراقة ، وأوس بن القائد ، وأنيف بن حبيب ، وثابت بن أثلة ، وطلحة بن يحيى ابن مليل بن ضمرة .

*** من بنى غفار وأسلم :**

ومن بنى غفار : عمارة بن عقبة ، رمى بسهم .

ومن أسلم : عامر بن الأكوع ، والأسود الراعى ، وكان اسمه أسلم .

وممن استشهد بخيبر فيما ذكر ابن شهاب الزهرى ، من بنى زهرة : مسعود بن ربيعة ، حليف لهم من القارة .

ومن الأنصار بنى عمرو بن عوف : أوس بن قتادة .

*** قصة الأسود الراعى وإسلامه ثم استشهاده :**

قال ابن إسحاق : وكان من حديث الأسود الراعى فيما بلغنى : أنه أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر لبعض حصون خيبر ، ومعه غنم له ، كان فيها أجيرًا لرجل من يهود فقال : يا رسول الله ، أعرض على الإســلام ، فعرضه عليه ، فأسلم ، وكان رسول الله ﷺ لا يحقر أحدًا أن يدعوه إلى الإسلام ، ويعرضه عليه ، فلما أسلم قال : يا رسول الله ، إنى كنت أجيرًا لصاحب هذه الغنم ، وهى أمانة عندى ،

فكيف أصنع بها ؟ قال : اضرب فى وجوهها ، فإنها سترجع إلى ربها [١] - أو كما قال - فقال الأسود : فأخذ حفنة من الحصى فرمى بها فى وجوهها ، وقال : ارجعى إلى صاحبك فوالله لا أصحبك أبدًا ، فخرجت مجتمعة كأن سائقًا يسوقها حتى دخلت الحصن ، ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله وما صلى لله صلاة قط فأتى به رسول الله ﷺ فوضعه خلفه وسجى بشملة كانت عليه فالتفت إليه رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه فقالوا : يا رسول الله لم أعرضت عنه ؟ قال : إن معه الآن زوجتيه من الحور العين [٢] .

قال ابن إسحاق : وأخبرنى عبد الله بن أبى نجيح أنه ذكر له : أن الشهيد إذا ما أصيب تدلت له زوجتاه من الحور العين : عليه تنفضان التراب عن وجهه وتقولان : ترب الله وجه من تربك وقتل من قتلك .

حديث الحجاج بن علاط السُّلمى : قال ابن إسحاق : ولما فُتحت خيبر ، كلَّم رسول الله ﷺ ، الحجاج بن علاط السلمى ثم البهزى ، فقال يا رسول الله ، إن لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة بنت أبى طلحة - وكانت عنده ، له منها معرض ابن الحجاج ، ومال متفرق فى مجار أهل مكة ، فأذن لى يا رسول الله ، فأذن له ، قال : إنه لابد لى يا رسول الله من أن أقول قال : قل . قال الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش يتسمعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ، ريفا ومنعة ورجالا ، فهم يتحسسون الأخبار ، ويسألون الركبان ، فلما رأونى قالوا : الحجاج بن علاط قال : ولم يكونوا علموا بإسلامى - عنده والله الخبر ، أخبرنا يا أبا محمد ، فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ، وهى بلد يهود وريف الحجاز ، قال قلت : قد بلغنى ذلك وعندى من الخبر ما يسركم . قال :

---

(١) أى صاحبها .

(٢) يا لها من منزلة عظيمة ، الا وهى الشهادة فى سبيل الله ، فقد كشف الله الحجاب لنبيه ﷺ وهذه من المعجزات ليرى الحور العين مع هذا الرجل الذى استشهد فى المعركة وكان قد أسلم وأخلص النية لله ودخل المعركة .

فالتبطوا بجنبى ناقتى [١] يقولون : إيه يا حجاج ، قال ، قلت : هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط ، وأسر محمد أسرًا ، وقالوا : لانقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم ، فيقتل بين أظهركم . قال : قلت : أعينونى على جمع مالى بمكة وعلى غرمائى ، فإنى أريد أن أقدم خيبر ، فأصيب من فل [٢] محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى ما هنالك .

قال ابن إسحاق : قال : فقاموا فجمعوا لى مالى كأحث [٣] جمع سمعت به قال : وجئت صاحبتى فقلت : مالى ، وقد كان لى عندها مال موضوع ، لعلى ألحق بخيبر ، فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقنى التجار ، قال فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر ، وجاءه عنى ، أقبل حتى وقف إلى جنبى وأنا فى خيمة من خيام التجار ، فقال : يا حجاج ، ما هذا الخبر الذى جئت به ؟ قال : فقلت : وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ قال : نعم . قال : قلت فاستأخر عنى حتى ألقاك على خلاء ، فإنى فى جمع كما ترى ، فانصرف عنى حتى أفرغ . قال : حتى إذا فرغت من جمع كلِ شىء كان لى بمكة ، وأجمعت الخروج ، لقيت العباس ، فقلت : احفظ علىَّ حديثى يا أبا الفضل . فإنى أخشى الطلب ثلاثاً ، ثم قل ما شئت، قال: أفعل قلت فإنى والله لقد تركت ابن أخيك عروسًا على بنت ملكهم . يعنى صفيــة بنت حُيى ولقد افتتح خيبر وانتثـــل [٤] ما فيها وصارت له ولأصحابه فقال : ما تقول يا حجاج ؟ قال : قلت : أى والله فاكتم عنى ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالى فرقًا من أن أغلب عليه فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك فهو والله على ما تحب قال : حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتخلق [٥] وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله

---

(١) التبطوا : ساروا ملازمين .

(٢) الفل : المنهزمون .

(٣) كأحث : كأسرع .

(٤) انتثل : استخرج .

(٥) تخلق : تطيب بطيب .

السيرة النبوية